الأمانة العامّة للأوقاف

سلسلة تربية الأبناء السادسة

١٠٠ طريقة للحصول على الابن/الابنة التي تريد

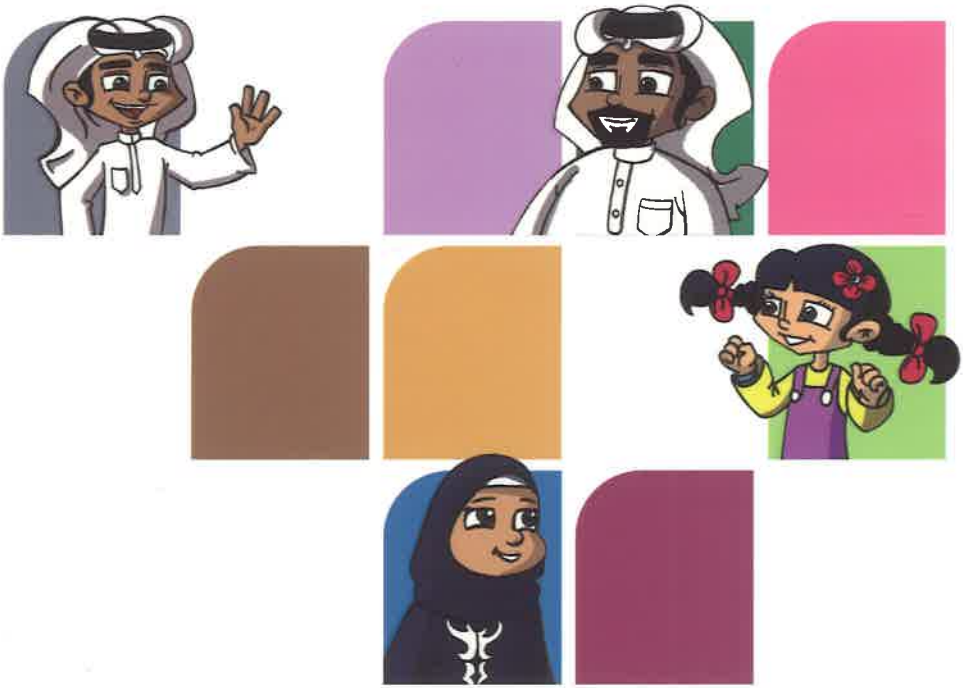

١٠ طرق للحصول على الابن/الابنة التي تريد في:

الاعتماد على النفس

٤

تمهيد للمشروع

الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي كَرَّمَ الإِنْسَانَ بِالفِكْرِ الْكَرِيْمِ، وَالخُلُقِ القَوِيمِ، وَبَعَثَ نَبِيَّه ﷺ بِالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ.

وبَعد:

فإن هذه سلسلة تربوية تتضمن «أفضل ١٠٠ طريقة للحصول على الابن/الابنة التي تريد» وهي موجهة بالدرجة الأولى إلى المربين الكرام من آباء وأمهات ومن يلحق بهم من مربين وباحثين ومسئولين في المدارس ومؤسسات المجتمع المدني. تهدف هذه السلسلة المترابطة إلى المشاركة في تنمية الثقافة التربوية للوالدين وتقديم طائفة من الخبرات العربية والعالمية في هذا المضمار على ضوء مستجدات اليوم وومضات الماضي عبر نسيج مترابط تساعدهم في توجيه وإرشاد وتنمية الأطفال والمراهقين لنيل أعز المطالب. وترجع أهمية هذه السلسلة إلى كونها تحاول جاهدة أن تكون مبسطة وقصيرة تجمع طرائق كثيرة في حزمة واحدة تجمع عصارة التجارب الرصينة وخلاصة الدراسات المتخصصة بغرض تزود السادة والسيدات من المربين والمربيات بخطوات واضحة يمكن توظيفها في أسرنا الصغيرة ومدارسنا المتنوعة بسهولة ويسر.

تحتوي السلسلة السادسة على أمثل طرق التنمية وأفضل مسالك التربية لعشر قضايا في غاية الأهمية في حياتنا اليومية وهي بالترتيب الآتي:

١ العبادات والطاعات
٢ السلوك والأخلاق
٣ التحصيل الدراسي
٤ الاعتماد على النفس
٥ اختيار الأصدقاء
٦ استغلال وقت الفراغ
٧ التوفير بالمصروف
٨ التعامل مع أفراد الأسرة
٩ النظافة الشخصية
١٠ الهوايات والأنشطة

ومن الجدير بالذكر أن السلسلة متعاضدة تكمل بعضها بعضاً الآخر فما تراه مختصراً في مكان تجده مفصلا في مكان آخر منعاً للتكرار، وخوفاً من الإطالة، وطلبا للتركيز في العرض. نسأل الله سبحانه أن تكون هذه السلسلة (مع أخواتها اللاتي سبقنها في الصدور ورأين النور) مرجعاً يُوَصل به إلى المقصود، ومنهلاً يُستقى منه كل محمود.

د. لطيفة حسين الكندري

د. بدر محمد ملك

المُقَدِّمَةُ

الاعتماد على النفس (Self-reliance) قدرة وإرادة على تقديم الجهد المطلوب في موضعه، وإنهاء الأمور المبتغاة، وأداء المنافع بحركة وقصد. إذا لم يأخذ الطفل مساحة من الحرية في ممارساته المعيشية فسيظل متعلقا بوالديه في أداء أبسط الأمور اليومية. لهذا تتجه التربية الحديثة إلى إتاحة الفرص والأنشطة المتنوعة للأطفال والشباب كي يختاروا ما يناسب ميولهم، ويضعوا أهدافهم، ويصنعوا خبراتهم الذاتية. وفي حقيقة الأمر فإن الذي يعتمد على نفسه ويستمد العون من ربه يبذل جهده حسب استطاعته على تحمل تبعات أعماله، وإحساسه بالمسئولية، فيمارس حقوقه وواجباته على بصيرة. وهذا لا يستقر في الطبائع إلا بالتدريب التدريجي للطفل فنكلفه بمهام تبدأ من خلال تعليمه طريقة تناول الطعام، وترتيب ألعابه وأغراضه، والتعود على تنظيم حجرته وإدارة شئونه والتعامل الواعي المتزن مع المتطلبات المدرسية ومحاولة المحافظة على أداء الفرائض الدينية، وندربه على نمط التفكير السليم كي يستنتج بنفسه الأعمال الجديرة بأدائها فيقوم بها بهيئة متقنة.

حث الإسلام الإنسان أن يأكل من عمل يده كي يزرع ويعمل ويكدح ويستقل في موارده ولا يكون تحت رحمة الناس يعطونه أو يمنعونه. قال رَسُول اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيهِ وَسَلّم: (لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف اللّه بها وجهه خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه) (رَوَاهُ البُخَارِي). هذا الاعتماد الذاتي المحمود يدفعه لأن يتعلم صنعة صالحة، وحرفة فاضلة كي يوسع رزقه، ويكسب قوته، ويبني بيته. لقد ذهب الإسلام أبعد من ذلك الشأن فوضّح بجلاء أن كل نفس بما كسبت رهينة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. وعليه يتحمل كل إنسان نتائج أعماله فلا يتبرأ منها فهي إما حجة له أو حجة عليه. انطلاقا مما سبق تصبح المسئولية الفردية بوابة للاختلاط بالناس والتعاون معهم على ضوء المواءمة بين المسئولية الفردية وبين المسئولية الجماعية كي لا تضييع الأمانة. قال تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٣). وورد في صحيح البُخَارِيّ الحديث التالي: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا).

وعلى ضوء ما مضى، لا يعني تفعيل الذات الاستغلال عن الناس والاستغناء عن خدماتهم فهذا محال بل المراد هو تحقيق قدر من الاستقلالية في تنمية الذات وتصريف الأمور وتحمل تبعات التصرفات التي تصدر منا. إن الاعتماد على النفس في دراستنا وفي وظائفنا وفي اقتصادنا ومعيشتنا ثقافة ضرورة يجب أن تشيع عمليا في المجتمع كي يرتفع وينتصر على نوازع التواكل والتسويف والكسل المحبطة للأعمال والمعيقة للآمال.

لقد أودع الله فينا قدرة على تنظيم شئوننا وتنظيم أمورنا وكلما كبرنا في العمر نمت المسئوليات من حولنا وزادت المهام، وفي كل الأوقات نحتاج إلى إدارة شئوننا الخاصة بأنفسنا فالتفويض مبدأ إداري جيد سوى أنه لا يصلح في كل مقام. قال الشافعي وهو يحث على أداء المهام المطلوبة منا:

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكْ

وفي أمثلتنا الشعبية نقول "ما حك ظهيرك مثل ظفيرك". ورد أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَسْقُطُ السَّوْطُ مِنْ يَدِهِ فَلا يَقُولُ لأَحَدٍ نَاوِلْنِي إِيَّاهُ، وَيَقُولُ: إِنَّ خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا.

إن المتأمل لمنظومة القيم الإسلامية وما يتفرع منها من أخلاقيات الصدق والأمانة والصبر والشكر والمروءة والكرامة والحياء ... يراها في نهاية الأمر تريد صناعة الإنسان الذي يعتد بنفسه فيعتمد عليها، ويقتات من سعيه المبارك ومن كدحه الموصول، ويسير في مناكب الأرض فيزرع فيها كل ما يزهر ويثمر ويزدهر ويرضي الله سبحانه عبادة وعمارة في الأرض وفق مبدأ الاستخلاف.

وعندما نلتفت إلى الواقع سنجد أن الأنظمة التعليمية اليوم ترتكز في الغالب على اختيارات الطالب فيحدد مواده (مقرراته) وأساتذته وعدد الوحدات الدراسية في كل فصل مما يعطي الطالب قدرا كبيرا من الحرية وتدربه على الاستقلال في اتخاذ خطواته. من المؤسف أن تجد طالبا جامعيا يعتمد على والديه في إدارة شئونه الجامعية، وفي تخليص معاملاته اليومية بل وحتى في سعيه في إصلاح سيارته الشخصية. إن مثل هذه العناية تفسد نفس الشاب الذي يُحرم من التجارب المعيشية ويمنع من حق التفكير والتقرير فتقل خبراته وتضيق آفاقه. مؤسسات التنشئة الاجتماعية مدعوة اليوم بشدة إلى تقديم معايير الجودة وتدريب الطلبة عليها على ضوء مبدأ الحكمة الصينية الخالدة التي تقول: (أعطِ الإنسان سمكة، وتكون قد أطعمته لمدة يوم، علمه الصيد، وستكون أطعمته إلى الأبد). إن إرشاد الطفل لطرق الإجابة وتقديم العون المحدود والمؤقت خير من تقديم الإجابات الكاملة والدائمة إليه. إن تقديم العون المحدود مع الإرشاد العام والتشجيع الدائم يحتاج من المربي الصبر على أداء الطفل والتفنن في توجيهه. أبناؤنا وبناتنا يفتقرون إلى كيفية القيام بأداء الأشياء على أكمل وجه نظرا لقلة خبراتهم. لا ريب أنهم يحتاجون إلى الوقت للتعود على حسن الاختيار، وتطبيق قيم الجودة في الجهود التي يقدمونها والأعمال التي ينجزونها. وفوق ذلك كله يريدون الثقة بقدراتهم، والثناء على جهودهم، والتقبل الكامل المحترم لأنفسهم وقدراتهم. التجارب هي التي تصقلهم بعد ذلك وتهبهم الثقة المتوازنة الواعية بأنفسهم وطاقاتهم.

عشر طرق لتنمية الاعتماد على النفس

١	التدريب المتدرج أنفع طريقة للاعتماد على النفس
٢	ايجابية العادات من أعظم المهارات
٣	افتح واستثمر الهدايا الإلهية.
٤	لا تلعب دور الضحية فتظلم نفسك.
٥	الأسرة الناجحة تنمي المسئولية الفردية
٦	الاعتماد على الذات حقوق وواجبات
٧	أنا متميز ولست ظلا لأحد.
٨	خبراتي تصنع شخصيتي.
٩	الاعتماد الكلي على الآخرين = شخصية فاشلة
١٠	أعتمد على ذاتي في وضع أهدافي.

الطريقة الأولى

التدريب المتدرج أنفع طريقة للاعتماد على النفس

تبدأ مرحلة الطفولة المبكرة تقريباً من سن ١٨ شهراً إلى ٣ سنوات وفي هذه المرحلة يتحسس الطفل قدراته ويشعر بنوع من القدرة على التحكم بالنفس وضبطها. وإن لم تستطع الأسرة تربية الطفل على إشباع حاجاته النفسية فإنه يشعر بالنقص، وخسارة للقدرة الكامنة فيتولد عنده الشعور بعدم القدرة على التحكم بالذات. أهم حدث في حياة الطفل في هذه المرحلة أنه يكثر من وضع يده في فمه ويمسك بيديه كل ما يصل إليه ثم يتعلم الحبو والجلوس والمشي بعد محاولات كثيرة ويتعلم دخول بيت الخلاء كي يقضي حاجته. الطفل مستعد في هذه المرحلة المبكرة لتنمية قدراته الحركية والعضلية كالمشي.

وبعد ذلك ينتقل الطفل إلى مرحلة اللعب كما يسميها أريكسون وهي تبدأ من السنة الثالثة إلى السنة السادسة وتظهر سمات المبادرة في المشاركة في الأنشطة وإدراك أهداف صغيرة وإعطاء توجيهات والتمتع بلذة إنجاز العمل فيزيد نشاطه المقصود المنظم وتقل تصرفاته العشوائية. أهم حدث في هذه المرحلة أن الطفل يمر في مرحلة عدم الاستقلالية.

وتأتي مرحلة المثابرة والجد والاجتهاد والبذل في سن الدراسة من ست سنوات إلى البلوغ (١٢ سنة). أهم حدث في حياة الطفل في هذه المرحلة أنه يدخل المدرسة وهي خبرة جديدة وحرجة ومفيدة. يقوم الطفل بتحسين خبراته والتمكن من المهارات الدراسية كالقراءة والكتابة والتحدث والاستماع فتزيد مساحة الاستقلالية لديه ويشعر على نحو متصاعد أنه لا مفر من الاعتماد على ذاته في تصريف حياته الشخصية التي هي في حدود طاقته.

وتشكل مرحلة المراهقة الشخصية إلى حد بعيد وفي هذه المرحلة تنمو مشاعر الاستقلال والنزعة القوية نحو الحرية بشكل أعمق ويكون الفرد لنفسه هوية أولية تحدده، وشخصية مستقلة تُميزه وتغذي مشاعر الولاء للمجتمع. وأهم حدث في حياة الإنسان في هذه المرحلة أن المراهق يضع لنفسه مجموعة أهداف لمستقبله ويصطفي من الأصدقاء من يخصه بالصحبة والفضل ويوسع دائرة اهتماماته ويبدأ في الشعور بهموم المجتمع ويبدأ في أن يحدد اتجاهاته الشخصية إزاء القضايا المجتمعية العامة.

والمسلم ينظر إلى مرحلة البلوغ عند المراهق على أنها فترة زيادة الالتزام الديني بالأحكام الشرعية وأنه مسئول عن التقصير فيها. رُفع القلم في الإسلام عن الصبي حتى يبلغ سن المراهقة فلا يؤاخذ شرعاً على التفريط والتقصير في أمور الشرع قبل ذلك والفرائض مندوبة له قبل سن البلوغ كي يعتاد على ممارستها وينال بركة وأجر التمسك بها. يتعلم المراهق في مرحلته الاستكشافية معاني الصبر، والتمسك بالقيم، وممارسة الحقوق والواجبات بقدر أكبر وأداء أفضل وهنا تتضح معالم الاعتماد على النفس على نحو واضح. من الطبيعي أن تتوتر علاقات الأسرة أحيانا في هذه المرحلة لأن المراهق يبحث عن هوية مستقلة ولا يعرف كيف يبنيها أو يعبر عنها. ومن الأخطاء المتكررة التي نقع بها كآباء وأمهات في أغلب البيوت أننا لا نغير نظرتنا ومعاملتنا تجاه المراهق فنعامله كطفل صغير فينفر عنا ويبحث عن غيرنا.

الطريقة الثانية

إيجابية العادات من أعظم المهارات

العادة هي الطبيعة الثانية للإنسان غير فطرته الأصلية فالعادة مجموعة السلوكيات الثابتة التي نكررها بسهوله لكثرة تعودنا على ممارستها على نهج واحد بشكل مقصود غير عشوائي وقد تكون حسنة أو سيئة من مثل عادة المبادرة والتعاون والإفراط في الطعام والعدوانية والاستيقاظ المبكر من النوم.

العادات حصيلة ممارسات

ولأن عاداتنا تشكل شخصيتنا ومسار حياتنا فهي ذات أهمية بالغة. قال بعضهم: (راقب أفكارك لأنها ستصبح أفعالا، وراقب أفعالك لأنها ستصبح عادات، وراقب عاداتك لأنها ستصبح طباعا، وراقب طباعك لأنها ستحدد مصيرك). ومن هنا فإن الأفكار القوية التي نحملها ونعتقد بها هي التي تشكل سلوكنا في الغالب. إن مسيرة حياتنا تتأثر بالأفكار التي نتصورها فتحكم تصرفاتنا الشخصية وتحدد مساراتنا المعيشية بطريقة مدهشة.

إن العادات المذمومة مثلا إذا استفحلت وتحكمت في الإنسان تضر إرادته حتى يصبح الشر مرغوبا في الحس ومصدر سرور يصعب اقتلاعه من شدة التعلق. وقال الشاعر:

قد يستلذُّ الفتى ما اعتادَ من ضررٍ حتى يرى في تعاطيه المسراتِ

ينادي بعض المفكرين بتنمية المهارات القيادية الذاتية عند جميع الأفراد إذ يدعو ستيفن كوفي وابنه شين إلى غرس سبع عادات هامة في القائد وكلنا نمتلك بعض مهارات القيادة وهي ضرورية لأولياء الأمور والموظفين والمراهقين والأطفال من الذكور والإناث. ويقصدان بالعادة ارتباط المعرفة بالمهارة والرغبة؛ المعرفة هي الإطار النظري، والمهارة تمثل الجانب العملي، والرغبة يراد بها الناحية النفسية. يمكن تلخيص نظرية ستيفن كوفي بالنقاط التالية مع شيء من الإضافات:

١-كن سباقاً للمبادرة في اقتناص الفرص وهذا الأساس من أهم سمات الإنسان الناجح النبيه. يحث ستيفن الإنسان بأن يكون إيجابياً فلا يستخدم كلمات تبدأ بـ لو ..وإذا ..ولا يلقي اللوم في جميع شئونه على الآخرين لأنها لغة المتقاعسين المهزومين نفسياً أما لغة السبّاقين فهي تبدأ بـ "سوف أعمل كذا.. أستطيع..سأقوم بالدور المطلوب مني" ..مما يدل على الاعتماد على النفس والوثوق بها. هذه العادة تجسد مبدأ تحمل المسئولية بعد إدراك الذات. قال كونفوشيوس الفيلسوف الصيني: "لا تدع أحدا يسبقك إلى فعل الخير، حتى ولو كان معلمك".

٢- ابدأ والنهاية في ذهنك لأن الأهداف إذا كانت واضحة أصبحت المهمة محددة. الصغار والكبار لهم حاجة ماسة لأهداف مرسومة تصنع حياتهم. الهدف يسهم في تحفيز الذات.

٣- ضع الأمور التي لها الأولوية أولاً وذلك لتوفير الجهود. إن فقه الأولويات يعتمد كلية على تقديم الأهم على المهم والفرائض الحياتية على السنن اليومية فعلى سبيل المثال تحري الأمن والسلامة وأداء المطلوب من أجله يسبق نشاط الاستمتاع بوقت الفراغ أو زيارة صديق. إذا تعارض الأمران فالأسبقية للأهم قبل المهم وهذه العادة تعلمنا تنظيم الذات.

٤- الاهتمام بالنصر العام أي أن الفرد يحرص على تحقيق مصلحته الشخصية وفي الوقت نفسه يحقق الآخرون مصالحهم. إن التفكير بالمنفعة للجميع يعني الاحترام المتبادل والمنفعة المشتركة وهي مقومات الاعتماد الذاتي في الشخصية المتميزة.

٥- حاول أن تفهم الآخرين ثم أن يفهمك الآخرون (افهم ثم تكلم). أكثر من ٨٠٪ من مشاكلنا الأسرية وغيرها تنتج من غياب التفهم المتبادل. اسع بكل ما أوتيت من قوة إلى فهم الآخرين أولا ثم اسع إلى أن يفهموك.

٦- التلاحم من خلال العمل والتفاعل مع الآخرين. التكاتف مع الآخرين هو تطبيق للتعاون الخلاق في شتى الميادين.

٧- شحذ المنشار: تجديد النفس من خلال تنمية القدرات الفردية الكامنة (البدنية-العقلية- الاجتماعية -الروحية). والتنمية تكون عبر القراءة وممارسة التمارين الرياضية بانتظام والمحافظة على العبادات والتواصل الاجتماعي مع التجديد فيه.

الطريقة الثالثة

افتح واستثمر الهدايا الإلهية

المِنح الربانية، والمواهب الرحمانية كثيرة جدا جدا، والهدايا الإلهية عظيمة جدا جدا، والخير المدخر فينا واسع يزيد كلما استعملناه. هذا المدد الذي لا حدَّ ولا ندَّ له هو من سعة رحمة الله التي وسعت وعمت كل شيء. إن التحدث عن النعم السوابغ علينا مثل الصحة والأهل والأمن ... عبادة لا تنقضي وخواطر لا تنتهي. النعم كثيرة والأنعم جليلة ولا يستطيع العبد أن يوفي حق شكر شطر يسير من واحدة من نعم الله ولو أفنى عمره كله في ذلك. قال تعالى: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

يرى الشاعر حافظ الشيرازي أن هناك الكثير من الهبات الإلهية والهدايا الربانية التي منحنا الله إياها وأودعها في أعماقنا مازالت مغلقة لم نفتح خزائنها منذ يوم ولادتنا إلى الآن ولقد آن أوان فتح منح الرحمن. والحق أن الشيرازي على حق فمعظم الناس لا يستكشفون خزانات الخير الذي وهبنا الله من طاقات ومواهب تنتظر اليد التي تفتح صندوق الهبة المنسية والهدية المخفية. تَبَصّر بالخيرات المكنونة في نفسك واكتشفها وافتحها واستثمرها فالهبات مواهب ربانية تنتظر المساعي الذاتية والحصافة الفكرية.

يقول كوفي (٢٠٠٦م، ص ٧٤، ٣٨٢) الهدايا الثمينة التي ولدت معنا غالبا لم تفتح بعد منها الحرية والقدرة على الاختيار والمبادئ والذكاءات الأربعة (الذكاء العاطفي والروحي والعقلي والجسدي). لا تتحقق العظمة الشخصية إلا بفتح هذه المنح والهدايا الإلهية وتسخير ما في داخلها من خيرات. يستغل الإنسان أقل من ٥٪ من طاقته والمأساة الكبرى هي تبديد الموارد البشرية (زيجلار، ٢٠٠٨م، ص ٣٦)، والمأساة الأعظم الجهل بأنفسنا وبمواهبنا وبالطاقات الكامنة في أعماقنا. قال تعالى عن دلائل قدرته وعظمة قوته: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١).

نحتاج جميعا إلى أن نُعمِّر مجالسنا بالحديث عن النعم التي وهبنا الله إياها فهذا اللون من الحديث المبارك يجدد الأرواح ويزيدها تفاؤلا وعملا ويوقظها من رقاد الغفلة. إن الأقاويل الشعبية عن العين والجن والسحر أخذت مساحات مخيفة في حياة الناس وخواطرهم وصرفهم عن الحديث والتنعم بقوة الإيمان وقدرته الخارقة على دحر وساوس الشيطان. الحسد حق والقرآن أحق في تقطيع أوصاله. العين كذلك حق والإيمان أقدر على تمزيق أوهامه. لو اجتمعت الدنيا على الإضرار بنا فلن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا وهو الحافظ. إن العقيدة الصحيحة هي التي تسكب في نفس المؤمن الإيمان والقوة وتحركه نحو تحصيل المطالب العالية . لقد مسح الإسلام الفكر الخرافي ومزق سطوته، وأزال زيفه ومن الظلم أن نضخم الخرافات في نفوس أطفالنا حتى

تُشوه معتقداتهم، وتُضعف عقولهم، وتشل حركتهم. الإيمان إشراق فجر، وعبير زهر، وهدير بحر في حياة المسلم ولكن البعض يأبى إلا أن يخلطه بالخوف والغموض فتركوا المعلوم وآمنوا بالموهوم. الإيمان حركة للروح وبركة للحياة وسعادة للنفس ومن اعتصم بربه لا يخاف من غيره.

إن أقوى المنح الربانية والهدايا الإلهية الإيمان بالله العظيم. إن تعليم وتعويد الصغار على حفظ الأذكار يحفظهم، ويحمي عقولهم، ويزكي أرواحهم. إن الأدعية القصيرة تعطيهم القوة وتقودهم إلى أن الله وحده هو الحافظ والصمد والسميع والعليم. قال رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ، بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم، ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّه شَيْءٌ" (رواه الترمذي).

من المؤسف أن اعتقد الآباء قديما أن تخويف الطفل قبل نومه بأسماء حيوانات مخيفة وخيالية وسيلة مقبولة للتعامل. إن الباحث في موروثاتنا الشعبية سيجد الكثير من الأسماء التي استخدمت لهذا الغرض فيقولون "حَكَتْ لَهُ جَدَّتُهُ قِصَّةَ الْغُول؛ والْغُول حَيَوَانٌ خُرَافِيٌّ لاَ وُجُودَ لَهُ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ لَيْلاً فَيُهْلِكُهُمْ". ثمة بشر يختارون لأنفسهم ولأبنائهم وبناتهم حياة قلقة تحيد عن الإيمان الصحيح ويبحثون في الدين ليعززوا

موروثاتهم الضائعة المريضة. إنها الطفولة السعيدة الصحية الخالية من الخرافات والعُقد والأساطير هي حقا خير هدية نقدمها لأطفالنا في مسيرة الحياة المستنيرة بالإيمان الصادق والعقيدة السليمة.

ذكر وليم جلاسر وهو يفسر السلوك الإنساني "إن السعادة، وكذلك التعاسة، لا تحدث من تلقاء نفسها، لقد تعلم الناس على مدار السنين أنهم (لا يختارون) الحزن، لقد اعتقدوا أنه يُفرض عليهم رغما عنهم .. هذا التعلم، أو هذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة، فالفرد يختار سعادته، أو كآبته، والزوج قد يختار الإحباط ليسيطر على زوجته، والزوجة قد تختار المرض لتسيطر على زوجها، وهذا قد يختار المخدرات ليسيطر على نفسه بعد الفشل أو الخسارة، والأم قد تختار الحزن والدموع لتسيطر على ابنها المدمن" (انظر الرشيدي، ٢٠٠٢ م، ص ١٨٢).

وإن استعدادنا الفطري لممارسة المكارم واختيار مساراتنا هو السر المطوي والكنز المخفي لو عرفنا وسائل استثماره في تنمية الذات، وفي كسب الأقرباء والأصدقاء، وأداء الحقوق والواجبات، وأداء الأعمال بما يخدم المجتمع لرأينا ذلك الاستعداد الأخلاقي فينا يُشكِّل قوة باهرة تقهر رذائل الأخلاق فنزداد وثوقا بأنفسنا. هذه قناعة جوهرية ينبغي أن تصاحب الناشئة وتعيش في عقولهم وتمتزج في أرواحهم.

إن نعمة الإيمان بالله العظيم، ونعمة الذكاءات بأنواعها ودرجاتها، ونعمة الحرية، ونعمة الاختيار وتحديد المسار أنعم محبوبة وعن كثير من الناس محجوبة، لأنهم لم يفتحوا الهدايا الموهبة لهم واختاروا السير في ذلك المسار، والحياة باختصار رحلة اختيار.

أيها الآباء والأمهات حان الأوان لأن نفتح عيوننا ونضع أيدينا على تلك النعم والهدايا الإلهية لنستثمرها في حياتنا اليومية وتلهج الألسنة بذكرها ونفسح المجال لأبنائنا وبناتنا في الاحتفاء بهذه الهدايا الجليلة.

الطريقة الرابعة

لا تلعب دور الضحية فتظلم نفسك

لا تلعب دور الضحية فتظلم نفسك، وتضحي بمستقبلك، وتُضيِّع أسرتك. ثمة كلمات سلبية نسمعها مرارا وتكرارا... فلان لا يحبني... ضربني فلان... المعلم هو سبب رسوبي... المدير ظلمني...زوجتي هي السبب... كل هذا بسببكم.. لا أستطيع الظروف أقوى مني.. هم يكيدون لي... لو كان الأمر بيدي.. إن الوضع تعيس.. الذنب ذنب فلان الذي جعلني أرتكب كذا...إنها مؤامرة.. إنها سلسلة طويلة من الأعذار وقذف التهم على الأطراف الخارجية والظروف المحيطة ولكن مصدر الداء واحد؛ عدم الاعتماد على الذات في أداء المستطاع من جهة، والاكتفاء بالتبرير والانشغال بلوم المحيطين بنا من جهة أخرى وهما وجهان لعملة واحدة متداولة بلا وعي. وجميع ما سبق من عبارات نريد أن نستدر بها العطف ولنقنع أنفسنا بأن الخلل ليس فينا فنبرر تقاعسنا ونلقي اللوم على غيرنا كي لا نحاسب أنفسنا وكفى الله الناجحين شر الجدال. إن المتفوقين يغيرون ما بأنفسهم كي يتغير واقعهم ولا يعللون تقصيرهم بلوم سواهم. ومن منظور قيادة الذات فإن الاعتماد على النفس وإدارة الذات تكون عاجزة عن الانجاز عندما تكون مكبلة بقيود اللوم (دائرة الاهتمام والتحدث والمشاعر والشكوى والتذمر) لا تبدع في عالم التغيير (دائرة التأثير والفعل والمبادرة وإدراك وتنظيم وتفعيل الذات).

دخل رجل الحبس وكان مُذنبا، وكان يقول أنا مظلوم أنتم سبب ضياعي ويردد قول الشاعر:

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَىً أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيْهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

فسمع ذلك أحد الحكماء، فقال: هو "أضاع نفسه بسوء فعله".

ومن أهم لبنات النّظرية التّربوية الإسلامية أنّها تقوم على غرس مفهوم المسئولية في الفرد والمجتمع سواء بسواء. التّربية الإسلامية تقوم على مبدأ تحمُّل المسئولية الشّخصية ومحاسبة النّفس في إطار وقفات تقويمية. التّغيير الحقيقي هو الذي يبدأ من داخل الفرد. قال الشّافعيّ:

يعيبُ النّاسَ كلهم الزّمانا ... وما لزمانِنا عيبٌ سوانا

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا ... ولو نطقَ الزمانُ إذاً هجانا

العاقل لا يلوم الناس أو يعاتب الزّمان ولكن الناس يتأخرون ويتقدّمون بحسب مراتبهم من محاسبتهم لأنفسهم "ولا عتبٌ على الزّمنِ".

التّبعية الفردية هي مناط الأمر والعاقل هو الذي ينشغل بالأمور التي تحت دائرة تأثيره. يقول الشّافعيّ:

المرءُ إن كان عاقلاً ورعاً ... أشغله عن عيوب غيره وَرَعُهْ

كما العليلُ السّقيمُ أشغلَهُ ... عن وَجَعِ النّاسِ كلّهم وجعهْ

ويترتّب على ذلك الفهم المُحدد أنّ يقوم الإنسان بجميع أموره قدر المستطاع ويتحمّل نصيبه المعلوم من المسئولية. يشدد المتخصصون في شئون التربية وتنمية الذات على أن المبادرة هي أول صفة يحتاج إلى النظر إليها كل المربين لتنشئة جيل راشد. والمبادرة في غاية الأهمية للكبير والصغير على حد سواء ومن المعاني المهمة الاعتماد على الذات والتوقف تماما عن لوم الآخرين والابتعاد عن لعب دور الضحية والمظلوم (Covey، 2008، p. 23) أو التقوقع في دائرة ردود الفعل لا المبادرة. ومن صور التعلم لتحمل المسئولية في عالم المراهقة القيام بمساعدة الآخرين وكتابة المذكرات اليومية التي تعكس مشاعر الفرد النامية تجاه واقعه (Covey، 2005، p. 12). يقول ستيفن كوفي (٢٠٠٦م) "عندما تلعب دور الضحية فأنت تُضحِّي بمستقبلك" (١٨٤).

فيروس الضحية فيروس معد (كوفي، ٢٠٠٩م، ص ٥٨) يجعل المصاب به يعتقد أن هناك من يعكر صفو حياته (المعلم في المدرسة، أو المدرب في النادي، أو المدير في العمل، أو الزوج في البيت) وأن الظروف هي السبب ولا يفكر أنه قد يكون سبب المشكلة لمواقفه المتسرعة. "تحكم في مصيرك الشخصي وإلا سيتحكم به شخص آخر (كوفي، ٢٠٠٩م، ص ٨٣)، ثم تقوم بإلقاء اللوم عليه.

إن الخطأ ليس في العصر بل في البشر. إننا في الغالب الأعم لا نُدين أنفسنا ولا نحاسبها بانتظام ولكن نلوم من حولنا وقد نذمهم بانتظام، ولو كان بصرنا حديدا لأبصرنا تقصيرنا أولا، وسوء تدبيرنا ثانيا. إن البصير هو الذي يحاسب نفسه قبل أن يعاتب غيره فمن أصلح نفسه سهل الله دربه وسدد خطاه .

وبناء على ما سبق، فإن من أهم مفردات تحمل المسئولية محاسبة النفس فإن بناء ثقافة النقد الذاتي والمحاسبة النفسية من أسرار النجاح الفردي والمجتمعي (تليمة، ٢٠٠٩م، ص٦٦)، وفي هذه المرحلة يفكر المرء بشكل مستمر بما يمكن أن يقدم وما الميادين التي يمكن أن يخدم بها وكيف يحقق النجاح (Connors & Smith، 1999، p. 25، 237). من أهم مبادئ الحياة محاسبة النفس لدفعها نحو المزيد من الانجاز وبما فيه المصلحة العامة. إن تحمل (Connors، R ، Smith، T ، & Hickman، 2004، p. 13، 64) المسئولية من أهم واجبات وحقوق الإنسان.

من المفاهيم المغلوطة التي تسللت إلى نفوس شبابنا أن الخلق شأن وراثي وقدر محتوم وليس للإنسان سوى القبول به والتسليم له فهذا يظن أنه عصبي المزاج فطرة ، وذاك يعتقد أنه كسول ملول جبلة، وهناك من يرى أنه متعثر الفكر والحق أن حدائق الأخلاق تحتاج إلى السقاية والرعاية والله سبحانه قد أودع فينا قوة ذاتية تستطيع بالإرادة الإنسانية تغيير سلوكياتنا نحو الأفضل. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). يمتلك كل فرد قدرة وإرادة لتهذيب نفسه على مستوى النفس، والاعتقاد، والفكر، والسلوك ولا تنفع الاستطاعة في تغيير المستويات الثلاثة (المستوى الفكري والنفسي والسلوكي) إذا لم تكن رغبة التغيير صادقة، وطرقها صحيحة.

الطريقة الخامسة

الأسرة الناجحة تنمي المسئولية الفردية

تقوم الأسرة بغرس مفاهيم الاستقلال المنضبط لا الاستبداد والأنانية. عندما يمارس الأبوان دورهما في إدارة البيت وتربية ذريتهما فإنهما يضعان بذرة الحرية المقرونة بالمسئولية حيث يشاهد الطفل أن النظام الأسري يقوم على ممارسة كل من أفراد الأسرة بدوره.

وتستطيع الأسرة أن تساند النشء في رحلة تعلم الاعتماد على النفس من خلال الآتي:

- التشجيع الدائم لهم والإيمان الجازم بقدراتهم ومواهبهم الكامنة. التشجيع المستمر كالمطر المنهمر ينمي الخيرات ويرفع العزائم ويلهم الأرواح مما يتيح للطفل الثقة بقدراته والمبادرة في تنمية شخصيته. من أوجب واجبات الأسرة والمدرسة رصد الأنشطة الطلابية الايجابية ومدحها وتعزيزها وترك تصيد الأخطاء . إتباع الأخطاء يفسد حس وسلوك الأبناء.
- تعويد الطفل على تنظيف وتنظيم وتجديد مكانه قبل وبعد الاستيقاظ من النوم.
- الاستماع إلى آراء الأولاد والبنات من دون تسفيه ثم مناقشتهما بموضوعية.
- الثناء الصادق على أدائهم وإبراز الايجابيات فيها.
- إتاحة الفرصة لهم للمشاركة في اتخاذ وصنع القرارات التي تمس شئونهم في دائرة الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني.
- التشجيع على حل الواجبات المدرسية وغيرها دون تدخل الأهل إلا عند الحاجة الملحة. الأفضل أن نتابعه من بعيد ولا نجلس بقربه كي لا يعتمد علينا.
- تدريب الطلبة في البيت والمدرسة على استخدام القواميس والموسوعات وشبكات البحث في الانترنت مما يوفر لهم عدم الاعتماد على الآخرين في عمل فروضهم وأنشطتهم المدرسية وغيرها. يعاني أطفالنا نقصاً هائلاً في هذا المجال. إن الاتكال على الأسرة أو مكاتب الطباعة لعمل التقارير وبالبحوث من أهم معوقات نمو الشخصية المستقلة فكرا وسلوكا وشعورا وعطاء ، ومن أبرز تحدياتنا التربوية المعاصرة في جميع المراحل الدراسية كما تشير خبراتنا العملية في هذا الجانب الجوهري .
- تشجيع النشء على الالتحاق بتخصصات تناسب ميولهم.
- تفعيل دورهم في تحمل المسئوليات الأسرية وذلك بتكليفهم أداء أمور يحبونها ويحتاجون إليها.
- يحتاج المراهق إلى الحوار والثقة والحب والحنان والمتابعة مع تحري تجنب التعامل معه بمنطق الأوامر العسكرية، والقرارات الصارمة، والوصاية اللاصقة . أعضاء الأسرة الواحدة شركاء وليسوا أوصياء.

- يحب الشباب (من الجنسين) التجمل في الثياب والتأنق في الملبس فلنفسح لهم حرية التعبير عن أذواقهم وإن خالفونا في التفاصيل ولنخفف نقدنا لهم طالما أن تصرفاتهم لم تخرج عن حدود اللباقة والآداب العامة. ليس كل قديم في الملبس والمأكل والمشرب والعادات صواب نحافظ عليه وندعو إليه، وليس كل جديد خطأ نخاف منه ونبتعد عنه.
- عرض ومناقشة التجارب الناجحة المبثوثة في القصص الواقعية والأفلام السينمائية وغيرهما من المصادر، فإن تكوين الباعث نحو العلا من غايات التربية الحميدة البانية للأمجاد.
- الدعاء لهم بأن يحبب الله إليهم بلوغ غايات المعالي وتمكينهم وتهذيب الأنفس وتذليل المسائل وتيسير الصعاب. فالعلم النافع شجرة تنبت بوابل من الدعوات الصادقة.
- اكتشاف الجوانب القيادية في شخصية أطفالنا ومعرفة أنواع الذكاءات لديهم (الرجاء الاطلاع على "الهوايات والنشاطات" من هذه السلسلة).
- تكليف الأبناء والبنات شراء بعض احتياجات البيت والاستعانة بهم في المسائل التي يحسنون التصرف فيها ولا حاجة لتعنيفهم إذا قاموا بشراء سلعة غير مطلوبة فالأخطاء واردة وهي ملح التجارب الجديدة.
- الأسرة الناجحة لا تحل كل المشاكل التي تواجه الأطفال بل تترك مساحة من الحرية وتدعهم يتفاوضون فيما بينهم لتسوية خلافاتهم ما لم يترتب على ذلك خطر متوقع.

الطريقة السادسة

الاعتماد على الذات حقوق وواجبات

أعظم أمانة يحملها الإنسان هي أمانة سلوكه فإن اتجه السلوك إلى المطالب الدنيوية والأخروية فخير ونور وإلا فإن الأمر عسير. إن تكوين ملكة صحيحة تحرك سلوك الإنسان نحو القيام بدوره يوجب علينا تدبر نتاج اجتهاداتنا، وحصاد أعمالنا، وإبراز الحقوق والواجبات كميزان نوزن به تصرفاتنا.

لا بد أن يشارك الأبناء والبنات بقدر معلوم من المهام المنزلية فعلى أقل تقدير ينظم الطفل حجرته، ويقوم بإلقاء مخلفات الأوراق الزائدة في سلة المهملات، ويعيد الأشياء المبعثرة إلى مكانها الفعلي، ويضع ملابسه المتسخة في الكيس المخصص لذلك ومراعاة إطفاء الأنوار غير الضرورية. هذه الالتزامات اليومية الصغيرة وغيرها بطبيعة الحال تعطيه وعيا يوميا بأهمية قيام كل فرد في الأسرة بالدور المكلف به. وتقوم المدرسة بإتمام المسيرة وتعميق النقوش الصغيرة فقبل أن تُقدم للطلبة المعلومات تغرس مظاهر النظافة والنظام والترتيب وفق سياسة واحدة لا تتبدل بتبدل الأماكن كي يعتمد الطالب على نفسه.

في المدارس اليابانية مجموعة مدارس غير قليلة لا تسمح بوجود العمالة لديها ليس بغرض توفير الميزانية المالية للمدرسة بل لمبررات تربوية بعيدة المدى. يقوم الطلبة في تلك المدارس اليابانية بتنظيف وتنظيم المدرسة كلها وبشكل دوري وبكفاءة عالية كي يتعلموا خلق التواضع أولا، وحب العمل والاعتياد على تحمل المشاق ثانيا.

خلق الإنسان ليطبق مكارم الأخلاق وعليه أن يجتهد في ذلك فيبذل البذل السخي كله إلى أن يترقى إلى ذروة جبل الانجاز. ولكي نصل إلى تلك القمة السامقة ثمة الكثير من النقاط التي تلفت انتباهنا باتجاه تنمية الاعتماد الذاتي عند الناشئة وهي في مجموعها خزانات للخير والصلاح إذا دربنا أنفسنا عليها، وأرشدنا أطفالنا إليها. فيما يلي مجموعة طرق تعين الناشئة على تنمية شخصياتهم على بصيرة:

١- التقيد بالوقت واحترام المواعيد. قال ابن الجوزي (٢٠٠٣م) في كتابه الرائع صيد الخاطر "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة. ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل" (ص ٢٤).

٢- تحمل تبعات القرارات الفردية.

٣- التعلم من الإخفاق. مهما وقعنا في وهدة الفشل فهناك بريق الأمل.

٤- التحلي بالأخلاق العالية والاجتهاد طريق الرقي والأمجاد.

٥- التخلي عن الأخلاق الذميمة (الكذب والاستهتار والتسويف...).

٦- محاسبة النفس بانتظام لمتابعتها بإحكام. العقل الفطن هو الذي يفعل ذلك بانتظام وكما ورد في الحديث "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمنى عَلَى الله".
وعنْ عُمَرَ بنِ الْخَطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا".

٧- التخلي عن الأحكام السلبية في تقدير الذات من مثل (لا أستطيع ترك تدخين السجائر، لا أحب الدراسة).

٨- تكوين العادات الايجابية (القراءة الحرة، كتابة الأهداف الشخصية، المحافظة على الصلاة في جماعة).

٩- اختيار التخصص والمواد الدراسية بناء على رغبة حقيقية وبناء على معلومات صحيحة لا رغبات الآخرين.

١٠- ممارسة الألعاب والهويات المفضلة.

١١- التعاون مع الطموحين وعدم الاستماع للمحبطين.

١٢- دراسة سيرة المبدعين والمبدعات واتباع سبيلهم السليم.

١٣- المبادرة في تقديم العون للمحتاجين.

١٤- التصدق بشيء من المصروف الخاص.

١٥- الوفاء بالعهد والالتزام بالوعد.

١٦- قبول الحق ولو كان مراً.

١٧- تكوين الشجاعة لتقديم الاعتذار للآخرين بلا تردد في حال ارتكاب الأخطاء. "آسف" تحتوي على أحرف قليلة ولكنها قادرة على إطفاء نيران البغضاء، وإخماد بركان الشحناء.

١٨- التواضع في التعامل مع الجميع خاصة الفقراء والضعفاء وأهل الحاجة.

١٩- الإعراض عن المستهترين وعدم مجاراتهم لأنهم يسحبون الإنسان إلى مزاعم ومزالق وزلات كثيرة. قال سبحانه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف ١٩٩). إن التنزه عن نزاع الجاهل وتجنب مخالطته من أوسع أبواب الحكمة ليس لأطفالنا بل لنا جميعا.

٢٠- احترام الآخر من المذاهب والأديان والثقافات الأخرى.

الطريقة السابعة

أنا متميز ولست ظلاً لأحد

ومن ثمار التميز أن يترك الإنسان بصمة صالحة وسيرة حسنة بعد مماته فالإنسان الذي يترك أثراً صالحاً بعد مماته يظل جميله حياً، وصنيعه خالدا وكما قال الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧م) "إذا لم تزد شيئاً على الدنيا كنت أنت زائداً على الدنيا". فكم من إنسان عاش ومات ولم يكن شيئاً مذكوراً في سجل العطاء لأنه لم يترك بصمة صالحة على أبنائه وفي مجتمعه، وكم من أُمة عاشت وماتت فلم تترك أثراً صالحاً فلم يُخلِّد التاريخ الإنساني ذكرها. قال جون ديوي: (أكبر دافع للإنسان إلى الانجاز هو الرغبة في أن يكون شيئا مذكورا).

الثقة بالنفس من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة التي تشجع المرء على الاستقلالية والتميز في وضع الرؤية الصائبة، واتخاذ القرارات والتفكير الجاد في التصرفات. كل إنسان متميز وهو ليس نسخة من غيره فإن "الاستنساخ" أو التقليد الأعمى للآخرين فيه إلغاء للعقل الذي يقدر العواقب. لا ريب أن العقل السليم من أعظم أنعم الله علينا. ذكر الترمذي في سننه: (عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

رَسُـولُ اللّٰه صلى الله علية وسـلم: (لا تَكُونُوا إمّعَةً تَقُولُونَ إنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَحْسَـنّا وَإنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إنْ أَحْسَنَ النّاسُ أنْ تُحْسِنُوا وَإنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا)).

ولكي لا يقع المرء في مصـيدة الإمعة فعليه أن لا يدخل في قضـايا يجهلها، ولا يخجل من السـؤال إن كان جاهلا في الأمر بل يسـأل عنه وإن كان عارفا صـدع برأيه واحترم رأي غيره. إن كسـب الأصـدقاء لا يكون بكسـر القيم والسـكوت عن الحق فإذا كان المجلس مجلس غيبة ونميمة فالمجلس الواسـع لا يسع العاقل، فإما أن يصرف الناس برفق عن الغيبة أو ينصرف سالما راشدا لأنه ذلك ليس بمجلس خير. يتأثر الإنسان بالفكر الجمعي وقد ينسـى نفسـه، ويتنازل عن أخلاقياته، ولا يحتكم إلى عقله لمجرد أن الذين حوله قالوا أو فعلوا ذلك. الذي يعتمد على نفسـه ويتوكل على ربه لا ينجرف مع الآخرين فهو يتعاون معهم على الخير والإحسان، ويفترق معهم إذا اتجهوا نحو الإثم والعدوان.

الإمعة شخصية مضطربة تترك للآخرين أن يرسموا له مستقبله وأن يضعوا أهدافهم له فالحركة والسكون لا تكون إلا بوازع من أمه وأبيه أو من صـاحبه وأخيه لأنه يسـير في ركابهم وينزل عند رغباتهم فهو كالظل يصـاحبهم ويخضـع لسلطانهم دون وعي. هذه سمات شخصية ألغت خصوصـيتها وارتضت أن تلبس ثوب غيرها فلا هي التي حققت ذاتها ولا هي التي أرضت غيرها.

نحتـاج إلـى أن نغرس فـي أبنائنا وبناتنا منهج التفكيـر العلمي بمعنى بناء قراراتهم على ضـوء المعلوم لا الموهـوم. وعلينـا أن لا نتدخل فـي فرض أفكارنا عليهم فـي كل أمر، فلا نختار لهم ألعابهم وهم صـغار، ونختار لهم زوجاتهم وهم كبار دون أن يكون لهم نصيب من الحرية والاختيار.

إلغاء العقل والطاعة العمياء بلادة، وبلاء ما بعده بلاء لا سـيما في عالمنا الإسـلامي الذي هزته الجرائم الإرهابية هزا. سـارت فئة غير قليلة في طريق التطرف والتشـدد مما قادهم للإرهاب والتفجير والتدمير لأوطانهم وأهليهم مما أسفر عنه قطع للأرحام، وقتل للأبرياء، وتشويه لسمعة الإسلام. ومازال المسلسل للأسف مستمرا!

السـؤال الكبيـر هو كيف نحفظ أبناءنـا من تلك الحركات الهدامة التي تتسـتر بالديـن؟ الإجابة عن هذا السـؤال الملح تستوجب مشـاركة الجميع في تربية جيل يعتمد على نفسه، جيل حر التفكير يؤمن بالتعايش السـلمي. من أهم أدوات وقاية الناشـئة من فخ التطرف تنمية التفكير الناقد (Lynn Davies، 2008، p. 169، 182). لا مفـر مـن تحصـين أطفالنـا عقليـا، وتمرينهم علـى أن لا يطيعوا أحـدا طاعة عمياء فيسـلكوا طريقا وعرا يدمر مجتمعهم ويلغي شخصـيتهم. إن التفكير الحر يقودنا نحو تكوين الشخصـية السوية المستقلة التي تستفيد من غيرها دون أن تذوب فيها، أو تتقمصها، أو تعاديها. القرار الصائب ينتج بعد المرور بالعديد من التجارب ولن ينال ذلك إلا الذي يتم تعليمه على احترام جميع الثقافات والمشارب وبناء شخصيته المستقلة الواعية المتزنة المستنيرة.

الطريقة الثامنة

خبراتي تصنع شخصيتي

يشعر الأطفال ومعشر الشباب بحيوية متدفقة تلقائية نحو التنافس مع الرفاق، والاستكشاف، والمرور بتجارب تتناسب مع أعمارهم، وتستولي على مشاعرهم، وتوسع من مداركهم ومنها يكونون معتقدات تحدد هويتنا. من منبع خبراتنا في الأسرة والمسجد والمدرسة تنبثق المعاني الكبرى كحب التعلم والحلم والتسامح والتدين والطموح والشجاعة والكرم وتقدير الوقت وحب القراءة. إن الخبرات النابعة من مثل الزمالة في المدرسة والسفر للبلدان والاعتناء في الحدائق والخروج في رحلات بحرية أو برية وزيارة المتاحف من المصادر الثرية في نمو الشخصية عند الطفل فتعطيه سعة في الأفق، وشعورا داخليا باحترام الذات وتقديرها. من المفيد تعليميا أن يكتب الأطفال والشباب في مذكراتهم تفاصيل تلك الأنشطة الرائعة.

كلما شاهد ومارس الطفل تلك الينابيع رسخت في ذهنه وتعمقت في فؤاده، وكلما عاين الانحدار والانحسار تأصل أيضا في نفسه.

يخوض أطفالنا مجموعة هائلة من القيم السلبية التي تأخذ طريقها إلى مداركهم ثم يعاد تصديرها وإعادة الإنتاج لها في تصرفاتهم. فالطفل الذي يرى والده يقود السيارة دون احترام لقوانين المرور أو لا يطبق قوانين النظافة من أسباب تشكيل ثقافة سالبة في مدارك الصغار. وكذلك الأم التي تتعامل باستعلاء مع الخادمة في المنزل تقدم لأبنائها وبناتها تجارب تلوث ثقافة الجيل الجديد الذي سيعتمد على الخادمة أو السائق في المنزل للقيام بأبسط الأمور التي يجب أن يقوم بها. وقلة العمل وسوء الخلق من أعظم العلل.

الخوف من الفشل في الاستقلال الشخصي يكبل فكرنا غالبا فلا نخوض غمار التجارب إلا بعد إحجام وإقدام على الرغم من أن حب الاستكشاف أصيل في أعماقنا إلا أن ثقافة اللوم والتأنيب قد تمنعنا من المغامرات الصغيرة وتحجبنا من التجارب النافعة. يعتز الإنسان بتجاربه التي تتضمن انجازاته وهي الرصيد الذي يمنح النفس الثقة وتقدير الذات. يضخم بعض الآباء الأخطاء فعندما يشتري الابن أو البنت

بضـاعة بسـعر أغلى من المعتاد أو أقل جودة تقوم الدنيا ولا تقعد بسـبب خطأ بسـيط كان يمكن أن يكون مدخلا رائعا لنا كآباء لتعليم أطفالنا معايير شـراء البضـاعة، وطرق تقييـم جودتها، وكيفية التفاوض مع البائع.

إن تنميـة مهارات الأطفال على حسـن الاسـتفادة من التجارب الأليمة والأخطـاء والعثرات التي يقعون في شـباكها دونما تشـهير بهم ومن غير استخفاف بقراراتهم يجعلهم يقدمون على التصدي لإدارة الأمور. إن العثرات والهنات ليست نهاية الأمر، بل هي محطات للتذكر والتفكر والإصلاح. وقديما قالوا وصدقوا "لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب". إن استغلال التجارب الأليمة لبيان الصواب برفق أجدى من التأنيب والعتاب والعقاب ولعل تلك الساعات المؤلمة ساعة إصغاء وصفاء وسخاء فلا بد من اقتناصها.

الطريقة التاسعة

الاعتماد الكلي على الآخرين = شخصية فاشلة

أبناؤنا وبناتنا على وعي تام بخصوصياتهم وأن كل واحد منهم له كيانه الخاص في حدود أسرته والمجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه ودور وسائط التنشئة هو تعزيز هذا المسلك مع التحذير من الأنانية. الشخصية الفاشلة هي شخصية مهزوزة غير سوية تركت مهارة الاعتماد الذاتي وتخلت عن أخلاقياتها وفيما يلي بعض الأسباب التي تساهم في إيجاد ذلك النمط نذكرها لنحذر من الوقوع فيها:

- ضعف نظرة الشخص لنفسه والاستسلام للنظرة السلبية لقدراته.
- الخوف من تأنيب الضمير إذا قصر في أداء المهام.
- قيام الأهل بأداء مهامه ومساعدته في كل صغيرة وكبيرة (حل الواجبات المدرسية، تنظيف غرفته الشخصية).

- شيوع ثقافة اللامبالاة والاتكال على الخدم.
- غياب الحزم في تطبيق المبادئ الأخلاقية.
- تساهل أو تسلط الكبار على الأطفال يُسبب شخصية ضعيفة.
- فقدان القدوة الحسنة التي تعتمد على ذاتها وتتعاون مع غيرها.
- قلة التشجيع.
- قسوة الانتقادات وعدم تقدير الطفل حق قدره.
- يركن الإنسان إلى الحياة الخالية من المسئوليات.
- يعجز الإنسان عن إدارة نفسه لنقص المهارات الحياتية لديه.
- عدم وضوح الواجبات المنزلية المطلوبة منه في البيت والمدرسة.

من منطلق التفكير الوقائي فإننا نحتاج في المؤسسات التعليمية إلى مناقشة مستفيضة إلى كل نقطة من النقاط السابقة كي نتجنبها ونقوِّي دفاعاتنا ونحصن أنفسنا منها. وقَديماً قال أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٨ هـ = ٩٦٨ م):

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ ... لكن لتوقيه
فمن لا يَعرفُ الشرَّ ... مِنَ الناسِ يقعْ فيه

الطريقة العاشرة

أعتمد على ذاتي في وضع أهدافي

إن الذي يعتمد على نفسه يبني مستقبله، والبناء في بداياته يأخذ وقتا ويحتاج إلى التخطيط الطويل، فوضع الأساسات عملية متعبة ولكنها مثمرة والبناء سرعان ما يتطاول ويكتمل. إن وضع الأهداف الشخصية بداية الانطلاق في الاعتماد على النفس وقيادتها على نحو يؤدي إلى رفع مستوى الثقة بالذات ويكون وقودا دائما للتحفيز والانجاز. ومن خصائص الفرد الذي يعتد بذاته أنه يحدد أهدافه بنفسه ولا يسمح لأي كائن أن يضع برنامجا له دون استشارته. ولكي يساهم الإنسان في صناعة مصيره الشخصي بشكل ايجابي فعليه أن يعرف ماذا يريد. فمن لا يضع لنفسه أهدافا شخصية سيجد نفسه من غير وعي يحقق أهداف الآخرين فيصبح ظلا لهم يسير بمسيرهم ويتوقف بإرادتهم.

تنبع أهمية تحديد الأهداف وصياغتها وكتابتها وتجديدها من جملة اعتبارات منها أن صياغة الأهداف فيها تحديد لمسار الحركة وتوجيه الجهود كما أنها تعمل على إيجاد الدافعية للإنجاز وفي نفس اللحظة فإنها تعيننا على تقييم النشاط الذي نقوم به. ومن فوائد تحديد الأهداف سهولة عرضها على الآخرين كي يقوموا بالمساندة ومباشرة العمل.

فيما يلي مجموعة خطوات معينة لوضع الأهداف:

- فكر بنبضات ايجابية وأنفاس متفائلة وأعلم أن منجزات اليوم هي أحلام الأمس.
- الاطلاع على تجارب المتفوقين في وضع أهدافهم السنوية والسبيل للوصول إليها.
- استشارة المهتمين والمختصين بهذا الشأن.
- انتقد نفسك ذاتيا (اعرف مكامن القوة ومواطن التحدي من أجل رفع الكفاءة الشخصية).
- ضع أهدافا شاملة لنفسك (أهداف تعليمية ودينية وثقافية واقتصادية وصحية).
- اكتب أهدافك على الأقل للعام الدراسي الحالي في مفكرتك الخاصة (من الأفضل أن تُكتب بقلم الرصاص وحاول تطويرها حسب الفرص المتاحة). فعلى سبيل المثال: سأقرأ ثلاثة كتب ثقافية في السنة – سوف

أختم القرآن الكريم كل شهرين- سأحافظ على لقاء العائلة كل أسبوع بانتظام- سأتصدق بـ ٢٪ من مصروفي الشهري- سأحضر دورة واحدة على الأقل في السنة لتنمية الذات).

- الإصرار على تنفيذ الأهداف وعدم التنازل عنها.
- قيم نفسك وخطتك وقدِّم البدائل.
- تعاون مع الذين يمكنهم مساعدتك في تحقيق الفوز والوصول إلى ذروة الانجاز.

بعد أن بذلنا الأسباب وطرقنا الأبواب فإن الإنسان لن يؤنب نفسه إذا لم يحقق كل الأهداف. وسنن الحياة كما أوجدها الله تهب الناس على قدر إخلاصهم ووعيهم وسعيهم في مسيرتهم، فإن لم تتحقق بعض الأهداف بعد بذل الأسباب فليراجع الإنسانُ البدايات والنهايات وليعد المحاولة وفق تخطيط أكثر وضوحاً وطموحاً فإن الأهداف المرسومة تجعل المرء فخورا بنفسه واثقا بمساعيه. ولنستثمر تجاربنا السابقة بكل ما فيها من نجاحات وتحديات فهي فعلا خزانات معرفية وخبرات ثقافية توسع الأذهان.

الخَاتِمَةُ

النفس الواثقة بذاتها تنسج لنفسها مسارات جديدة وتضع خططا مفيدة وتلتقط عادات ايجابية تلبي احتياجاتها وتغطي طموحاتها. لا تتم تنمية الفرد ليعتمد على ذاته ويتوكل على ربه إلا من خلال تعزيز جوانب الإنتاج والقوة في الشخصية ومعرفة الفرص المتاحة فإن الإيمان بالله ، والإرادة القوية، وصقل الطاقات، واقتناص الفرص، والرغبة العارمة في الانجاز من أهم ركائز الاعتماد على النفس. إن التدرج في تكريس قيم العمل والتفكير والجدية والاستقلالية والاستقامة تبدأ منذ نعومة الأظفار فذلك خير عون نقدمه للصغار وقديما قالوا (العِلْمُ في الصِّغَرِ كالنَّقْشِ في الحجر).

من أهم مفاتيح النجاح في الحياة الاعتداد بالنفس دون مبالغة والثقة بها دون غرور. إن الأسرة والمدرسة يستطيعان تقديم الكثير من التمارين اليومية الصغيرة ذات الأثر التربوي العميق لغرس قيم الاستقلالية في إطار الشورى والتعاون وعلاقات قوية مع أفراد المجتمع من جهة، وأفراد المجتمع من جهة أخرى، وعلى أساس الموازنة في ممارسة الحقوق والواجبات.

الاعتماد على النفس نوع من أنواع قيادة الذات من حيث انجاز ما يمكن انجازه وتحمل تبعات الأداء لا سيما في أوقات التحديات والأزمات. إن الاعتماد على النفس رحلة نسير بها كمرشدين مع أبنائنا وبناتنا إلى منتصف الطريق ثم يأخذون زمام المبادرة لإكمال ما تبقى من الرحلة بأنفسهم ومع رعاية الله سبحانه.

أهم المراجع العربية

١- ابن الجوزي (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). صيد الخاطر. تحقيق حامد أحمد الطاهر. القاهرة: دار الفجر للتراث.

٢- تليمة، عصام (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م). ثقافة النقد الذاتي. في الوعي الإسلامي. العدد ٥٢١. محرم- ديسمبر. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٣- الرشيدي، بشير نظرية الاختيار وتطبيقاتها في علم النفس. ط٢، الكويت: مجموعة أنجاز العالمية.

٤- زيجلار، زيج (٢٠٠٨م). أراك على القمة. ط٤، الرياض: مكتبة جرير.

٥- سليمان بن الأشعث بن إسحاق (بدون تاريخ). سنن أبي داوود. بيروت: دار إحياء التراث العربي. في المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٦- الكندري، لطيفة حسين (١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٧ م) نحو بناء هوية وطنية للناشئة. ط١، الكويت المركز الإقليمي الطفولة والأمومة.

٧- الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م). تعليقة أصول التربية. ط٣، الكويت: مكتبة الفلاح.

٨- كوفي، ستيفن (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م). العادة الثامنة من الفعالية إلى العظمة. سورية: دار الفكر.

٩- كوفي، شين (٢٠٠٩م). العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية. ط٧، الرياض: مكتبة جرير.

١٠- ملك، جاسم محمد (٢٠٠٩م). مفكرة صناع النجاح للطلبة والطالبات. الكويت: مؤسسة ديزاين وورلد.

١١- ملك، بدر، والكندري، لطيفة (١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م). تراثنا التربوي: ننطلق منه ولا ننغلق فيه. ط٢، الكويت: مكتبة الفلاح.

أهم المراجع الأجنبية

1. Connors, R & Smith, T (1999). Journey to be the emerald city. New York: Prentice Hall Press.
2. Connors, R , Smith, T , & Hickman, C (2004). The OZ principle. New York: Portfolio.
3. Covey, S (2008). The 7 habits of happy kids. New York: Simon & Schuster Books for Yung .
4. Covey, S. (1997). The 7 habits of highly effective families. New York, NY: Golden Books.
5. Davies, L (2008). Education Against Extremism. UK: Stylus Publishing, LLC.
6. Mather, A, D & Weldon, L, B (2006). Character Building day by day. USA: Free Spirit Publishing.

الأمانة العامة للأوقاف

ساهم معنا في دعم مشاريع وأنشطة التنمية الاجتماعية من خلال تبرعك
على حساب بيت التمويل الكويتي - الرئيسي رقم 011010000721

تحتوي السلسلة السادسة على أمثل طرق التنمية وأفضل مسالك التربية لعشر قضايا في غاية الأهمية في حياتنا اليومية وهي بالترتيب الآتي:

١ العبادات والطاعات	٦ استغلال وقت الفراغ
٢ السلوك والأخلاق	٧ التوفير بالمصروف
٣ التحصيل الدراسي	٨ التعامل مع أفراد الأسرة
٤ الاعتماد على النفس	٩ النظافة الشخصية
٥ اختيار الأصدقاء	١٠ الهوايات والأنشطة

ومن الجدير بالذكر أن السلسلة متعاضدة تكمل بعضها بعضاً الآخر فما تراه مختصراً في مكان تجده مفصلا في مكان آخر منعاً للتكرار، وخوفاً من الإطالة، وطلبا للتركيز في العرض. نسأل الله سبحانه أن تكون هذه السلسلة (مع أخواتها اللاتي سبقنها في الصدور ورأين النور) مرجعاً يُوصل به إلى المقصود، ومنهلاً يُستقى منه كل محمود.

الأمانة العامة للأوقاف

إدارة الصناديق الوقفية

الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية

أودع هذا الإصدار لدى إدارة المعلومات والتوثيق تحت رقم (١٧) بتاريخ ٢٠١١/١/١٣م

الأمانة العامة للأوقاف - منطقة الدسمة - قطعة ٦ - شارع المنقف - مدرسة الجاحظ سابقاً
هاتف : ١٨٠٤٧٧٧ داخلي ٧٧٧٧ - قاعة العطاء: ٢٢٥٣٢٦٧٣ - خدمة الواقفين: ٩٩٧٤٠٤٠٢